الإنصاف على طريقة هوليود.. المسلمون والعرب الأخيار!

استعرضنا في الفصول السابقة مراحل تطور الصورة النمطية الهوليودية للعرب والمسلمين الذين يمثلون أكثر من سُدس سكان الكرة الأرضية، بدءاً من أساطير الاستشراق وعالم الحريم والعبيد، مروراً بتحقير سكان الصحراء المتخمين بخيرات النفط والمتعصبين ضد الشعب اليهودي المحاصر على «**أرضه**»، ووصولاً إلى الإرهاب الذي جاء حلقةً أخيرة في سلسلة تطور هذه الفئة من المخلوقات الكريهة العصية على التحضر، والتي لا تكتفي بإصرارها على التخلف بل تحمل حقداً دفيناً على كل من سبقها إلى التحضر إلى درجة تغريها بإبادتهم وإزالتهم من هذا العالم الذي تريده أن يبقى متخلفاً!

هذه الصور النمطية تكرر عرضها مئات المرات في السينما والتلفزيون أمام عيون المشاهدين في العالم أجمع منذ بداية القرن العشرين، وكانت مهمة تمثيل هذه الأدوار الكريهة تُسند عادة إلى ممثلين يهود لأسباب عدة سبق التعرض لها، وقد يكون أهمها هو الاعتقاد بعدم جدارة الممثلين العرب والمسلمين بأداء أدوار مهمة حتى إذا كانت بهدف تحقيرهم، وهي تهمة سعى بعض الممثلين العرب إلى تفنيدها من خلال اجتهادهم في تقديم هذه الصور النمطية على أحسن وجه!

مع ذلك فهناك ما يدعو إلى التفاؤل، وإن لم يرقَ بعدُ إلى درجة التخلص من الصور النمطية التي أصبحت علامة مسجلة لكل عربي ومسلم بالفطرة، فالانفتاح المتزايد بين الشعوب يزيد من صعوبة تعميم تلك

الصور على شعوب بأكملها، خصوصاً فيما يتعلق بالعرب والمسلمين الذين ولدوا وعاشوا في الولايات المتحدة.

نتيجة لذلك أصبح من الضروري ظهور صورة جديدة للعرب والمسلمين، فإلى جانب الأدوار النمطية المعتادة سُمح لهم بالظهور في صورة أخرى موازية دون الخروج بعيداً عن إطار الصراع مع الإرهاب، فإذا كان العربي أو المسلم شريراً كالعادة فهو **إرهابي**، وإن تصادف كونه خيّراً كاستثناء من القاعدة فليكن دوره مقتصراً على التحالف مع **الغربي المتحضر** للقضاء على **الإرهابيين الأشرار**، وكأن دوره في الحياة سيظل محصوراً ضمن حدود الإرهاب، حتى مع الاعتراف غير المسبوق بوجود جوانب أخرى في حياته كالعمل والدراسة والحب!

تقول (إيفلين السلطاني)، وهي أستاذة في جامعة ميتشيغان وتتابع صورة العرب والمسلمين الأمريكيين في التلفزيون الأمريكي منذ العام **٢٠٠١**، تقول: «إن معظم الأدوار التلفزيونية التي تتطلب شخصاً ذا أصول شرق أوسطية كانت تنحصر في نوع أو نوعين فقط من الأدوار. النوع الأول هو الشخص العربي المشتبه بقيامه بأنشطة غير قانونية، أما النوع الثاني فهو العربي أو المسلم **الجيد الذي يساعد الحكومة الأمريكية في حربها ضد "الأشرار"** العرب»[١]. وتؤيدها البروفيسورة (ميليساني ماكليستر) الأستاذة في جامعة جورج واشنطن مشيرة إلى أن تلك الأدوار تأتي دائماً في سياق الإرهاب، وأنها تدعم الصلة بين الهوية العربية والتهديد الذي تتعرض له الولايات المتحدة الأمريكية.

ويشرح الممثل الفلسطيني **بشار القدومي** الذي التحق بهوليود سنة **٢٠٠١**، هذه التطورات بقوله: «بالمجمل زاد الطلب على الممثلين

(١) ميدل إيست أونلاين.

العرب، لكن بطابع سلبي لإرضاء وزارة الخارجية الأمريكية، كل مخرج أمريكي كان يريد أن يثبت أنه **وطني أمريكي** بغض النظر عن الإساءة للعرب المسلمين، والأدوار تلخصت إما في جنود عراقيين منظور إليهم بنظرة دونية، أو أن يظهر الرجل الأبيض قائداً وبقية الممثلين -بغض النظر عن الألوان- يدورون في فلكه ولا معنى لهم»[١].

المسلمون الأخيار على الشاشة الصغيرة

لم تتخلف الأعمال التلفزيونية عن طرح هذه الصور الجديدة للمسلمين بعد أحداث أيلول/ سبتمبر، ونبدأ استعراض بعض الأمثلة مع أحد برامج الأطفال الأمريكية الموجهة إلى أطفال العالم كله، إذ تفتقت عبقرية هوليود عن شخصية كارتونية اسمها (ثريا قادر) في المسلسل الكارتوني الأمريكي (**الأشخاص الغامضون**/ X- Men) عام **٢٠٠٢**، وهي فتاة أفغانية كانت تعيش في ظل حكم طالبان، ثم تعرضت للاختطاف والبيع في سوق العبيد (!) إلى أن خلصها أبطال المسلسل الخارقون وقاموا بضمها إلى الفريق تحت اسم (دست)، علماً بأن منتجي المسلسل قد تكرموا وتركوها تتمسك بحجابها ونقابها الأسود بعد خروجها من أفغانستان.

في العام نفسه، استحدثت هوليود بعض الشخصيات المسلمة ضمن فريق (وحدة مكافحة الإرهاب) في الموسم الثاني للمسلسل البوليسي (**٢٤**)، وكانت القصة تدور حول محاولة إرهابية لتفجير قنبلة نووية في الأراضي الأمريكية مع اتهام ثلاث دول (شرق أوسطية) بمحاولة تفجيرها، ويتولى العميل (جاك باور)؛ الممثل كيفر ساذرلاند، مهمة تعطيل القنبلة.

---

(١) سعيد أبو معلا: بطل فيلم (القيادة إلى زغزغلاند).. بشار القدومي: هوليود تسعى لإرضاء الإدارة الأمريكية، إسلام أون لاين، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٨.

ونظراً لنجاح المسلسل فقد تابعت شركة (فوكس) إصدار أجزاء أخرى منه كل سنة، تكررت مشاركة **العرب والمسلمين الأخيار** في المسلسل بضمهم إلى وحدة مكافحة الإرهاب وإظهار مدى ولائهم لوطنهم الأمريكي، ففي الموسم السادس الذي أنتج سنة **٢٠٠٧** تبذل (نادية ياسر) كل جهودها للقبض على **الإرهابيين المسلمين** المتواطئين مع أمثالهم الروس لتفجير قنبلة نووية في أمريكا، وأثناء عمل (الوحدة) على ملاحقة طائرة بلا طيار يتم إطلاقها لتفجير قنبلة نووية ثانية في (سان فرانسيسكو)، يكتشف أحدهم وجود تسرب للمعلومات من داخل الوحدة، فتتسارع أصابع الاتهام لتشير إلى (نادية) لكونها مسلمة ومولودة في (الشرق الأوسط)، وقبل أن يحسم الفريق أمره في إدانتها أو تبرئتها تظهر بعض الدلائل على تورطها ويتم توقيفها على الفور، ولكن براءتها سرعان ما تظهر قبل أن يشرع أحد زملائها العنصريين في تعذيبها ودفعها للكشف عن الجهة التي تتعاون معها.

هذه الأحداث وغيرها تم تصويرها بمباركة عدد من الممثلين العرب والمسلمين، ونذكر منهم **نيكولاس قاضي، أنتوني عزيزي، سعيد فرج، هاز سليمان، فاران طاهر، وآل فارس**، إلى جانب الممثل السوداني الأصل (**ألكساندر صدّيق**) الذي ظهر في الموسم السادس سنة **٢٠٠٧** في دور الإرهابي العربي (أسعد)، والذي يتوب عن جرائمه وينضم إلى وحدة مكافحة الإرهاب للإيقاع بزملائه السابقين، ويتساهل معه المحققون مؤقتاً ريثما يستفيدون من خدماته، إلا أنه يموت في النهاية. ومن الطريف أن أحد النقاد الأمريكيين كتب مقالاً يعرب فيه عن ارتياحه لموته، فقد لقي جزاءه على أفعاله الشريرة بالرغم من توبته، إذ يبدو أن التوبة غير مقبولة لدى البعض حتى لو اقترنت بالتضحية لغسل الخطيئة، أما الأكثر طرافة فهو عرض المسلسل كاملاً على اثنتين من قنوات مجموعة (MBC) العربية، بالرغم من استنكار المنظمات الإسلامية الأمريكية لما يتضمنه من

إساءة، بل اعتراض منظمات حقوق الإنسان ومجالس الآباء في الولايات المتحدة على ما يحتويه من مشاهد تعذيب وعنف ضد **الإرهابيين**.. والذين هم غالباً مسلمون، في حين لم نسمع باعتراض الآباء في البلاد العربية على عرضه مترجماً إلى لغتهم، وإقبال أولادهم المراهقين على متابعته!

أما في مسلسل (**الضائعون** / Lost)، فتظهر شخصية العراقي (سعيد جراح)؛ الذي يمثِّل دوره الممثل نافين أندروز، وهو عسكري سابق في الحرس الجمهوري العراقي، يصادف وجوده على متن طائرة تقلع من أستراليا وتتحطم على جزيرة غير مأهولة فينجو منها بضعة أفراد ومنهم صاحبنا العراقي، أما سبب وجوده في أستراليا حسب قصة الفيلم فهو تجنيده لمصلحة تعاون استخباراتي دولي للتسلل إلى خلية إرهابية إسلامية نائمة، ومع أن الممثل ليس عربياً إلا أننا أشرنا إلى هذا الدور لكونه يصب في نفس الخانة المشار إليها من الأدوار، علماً بأن المسلسل قد عُرض أيضاً على إحدى قنوات مجموعة MBC العربية.

ونختتم عرضنا لهذا النوع من المسلسلات مع المسلسل الشهير (**الخلية النائمة**/ Sleeper Cell) الذي يتصدر هذه الفئة جميعها في إبراز الصورة النمطية الجديدة للمسلم الأمريكي الطيب، إذ يخترق العميل الفيدرالي المسلم الأسود (داروين)؛ الممثل مايكل إيلي، خلية إرهابية إسلامية نائمة داخل الولايات المتحدة ويتمكن من إقناع أعضائها بأنه منهم إلى درجة تمكنه من الإيقاع بهم، ونجد في المسلسل جميع الصور النمطية للمسلم الإرهابي، ولكنه في هذه المرة يبدو أمريكي المظهر إلى أبعد الحدود، إشارة إلى أن الخطر قائم حتى عندما يكون المسلم غربياً بشعر أشقر وعيون زرقاء! ويؤكد المسلسل على تقديم الأمريكي المسلم الطيب في صورة العميل الفيدرالي الذي لا تمنعه المواظبة على شعائر دينه من صلاة

وقراءة للقرآن عن القيام بدوره في الدفاع عن أمريكا ضد **الإرهابيين المسلمين**.

ومن الطريف أن يسند دور زعيم الخلية إلى الممثل اليهودي المولود في إسرائيل (عوديد فهر) الذي سبق أن ظهر في سلسلة أفلام المومياء زعيماً لجيش العبرانيين المدافعين عن مصر، والأغرب من ذلك أن يكون كاتب المسلسل باكستانياً مسلماً واسمه (قمران باشا)، الذي -مع كل ما قدمه- لم يحظ برضا الكثير من الأمريكيين الذين لم يرُق لهم منظر الأمريكي المسلم، وهو يدافع عن بلادهم حتى وإن كان يحمل اسماً غربياً (داروين)!.. إذ يبدو أن صورة الإرهابي قد تغلغلت في أعماق اللاوعي الأمريكي إلى درجة يصعب تغييرها، مما دفع بالكثير من مشتركي شبكة (شوتايم) الأمريكية إلى التهديد بإلغاء اشتراكهم في حال إصرارها على عرض هذا المسلسل الذي أنتجته وبثته على إحدى قنواتها![1]

(المسلمون الأخيار) في السينما

من أشهر الأمثلة المبكرة لظهور المسلم الطيب المتعاون مع الأمريكيين نذكر الفيلم الشهير (**الحصار**) المنتج عام **١٩٩٨**، الذي لعب فيه الممثل الأمريكي لبناني الأصل (**توني شلهوب**) دور (فرانك حداد) العميل الأمريكي المسلم لدى الـ(إف بي أي) ضمن فريق لمحاربة الإرهاب، وهو الفيلم الذي لم يُعرض في أي دولة عربية[2]، ولقي شهرة عالمية أكبر بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر **٢٠٠١**، وقد سبق لنا الحديث عنه في هذا الكتاب.

---

(١) شاركت في العمل أيضاً مجموعة كبيرة من الممثلين العرب والمسلمين، ومنهم: **نيكولاس قاضي**، **ياسمين حناني**، **سارة شاهي**، **سعيد طغماوي**، **مايكل ديسينت** (واسمه الأصلي **هاني النعيمة**)، وغيرهم.

(٢) لخضوع دور السينما للرقابة التي تفلتت منها قناة فوكس فعرضت الفيلم.

يعلق البروفسور (جاك شاهين) على هذا الفيلم بقوله: «في فيلم الحصار كل العرب إرهابيون ويقتلون ألوفاً من الناس في مدينة نيويورك قبل الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، وأعتقد أن المخرج شعر بضرورة أن يكون هناك على الأقل شخص من خلفية عربية وأعطى ذلك الشخص دوراً ثانوياً جداً، وهو عميل في (FBI) وهذا ما حدث، وهذا شبيه بما كانت عليه صورة السود في الأيام القديمة في السينما حيث ترى كل السود يقتلون في الغابة، لكن هناك رجل أسود وحيد جيد هو صديق البطل، وهي مجرد عملية تزويقية ولا يجب أن نلقي لها أي اهتمام»[1].

هذه (العملية التزويقية) أصبحت أكثر شيوعاً في هوليود بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، إذ ينتهز المخرج البريطاني (ردلي سكوت) فرصة اندلاع الحرب الأمريكية على **الإرهاب** سنة **٢٠٠١** لطرح فيلمه (**سقوط الصقر الأسود**)، والذي يحكي قصة إسقاط طائرة الصقر الأسود الأمريكية من قبل المقاومين الصوماليين، ومحاولة الأمريكيين الخروج من تلك المنطقة الملتهبة بأقل قدر من الخسائر، ويبدو اختيار موضوع كهذا لإنتاج فيلم هوليودي بالتزامن مع الحرب على أفغانستان، وما بعدها من حروب، أقرب إلى الدعاية السياسية.

تبدأ المهمة في هذا الفيلم بتعاون أحد الصوماليين مع الجيش الأمريكي لإرشادهم إلى مقر قيادة الميليشيات التابعة للجنرال (عيديد)، فنرى الصورة النمطية الجديدة للمسلم الطيب والمتعاون مع جيش العدالة الأمريكي، بدءاً بمشهد المؤذن وهو ينادي إلى صلاة الفجر من فوق المئذنة، والذي يتلوه مشهد للعميل الصومالي وهو يصلي على شاطئ

(١) قناة الجزيرة، برنامج (الكتاب خير جليس)، العرب السيئون.. كيف تشوه هوليود شعباً، ٢٦/ ١٢/ ٢٠٠٥.

البحر، ثم ينطلق لأداء مهمته العظيمة، ويقود سيارته وسط سوق شعبي تباع فيه الأسلحة علناً، وكأنها بضاعة مشروعة، فالإسلام الذي يرضي هوليود هو ذاك الذي لا تمنع فيه الصلاة ومظاهر التدين من التحالف مع الأمريكيين.

في نهاية الفيلم، ينجح الأمريكيون بإنقاذ بعض من تبقى من جنودهم الذين وقعوا في الفخ واضطروا للقتال حتى صباح اليوم التالي، وعندما يخرجون من الحي الذي تسيطر عليه الميليشيات وسط مقديشو يستقبلهم الشعب الصومالي الطيب بالزهور، فهم أبطال الحرية الذين جاؤوا من أقصى الأرض لتحريرهم. وقد نجح المخرج في تجسيد الصورة التي وعد بها الرئيس بوش الابن جيشه عندما يقتحم العراق ليحرره من نظامه الديكتاتوري!

هذه الصورة المثالية للولايات المتحدة لم تكن دائماً على ذلك النحو في أفلام هوليود، ولكن (العرب الأخيار) لم يخرجوا بطبيعة الحال عن الصورة النمطية الجديدة التي رُسمت لهم، إذ نجد إدانة واضحة من قبل كاتب ومخرج الفيلم الشهير (**سيريانا**)، الذي أنتج عام **٢٠٠٥**، للرأسمالية الأمريكية المتمثلة في التحالف المشبوه بين كل من الإدارة الأمريكية في واشنطن ورؤساء شركات النفط وحكام الدول العربية النفطية، وهو موقف مشابه لموقف المخرج الأمريكي (مايكل مور) الذي عبّر عنه في فيلمه الوثائقي (فهرنهايت ٩/١١) واتهم فيه إدارة بوش بالضلوع في مؤامرة قذرة مع الحكام العرب ضد مصالح الشعب الأمريكي.

بيد أن المخرج الأوسكاري (ستيفن جاجَن) ترك للعرب فرصة التحول إلى الجانب الخيّر في فيلمه (**سيريانا**)، ففي ظل هذه المؤامرة التي يبدو الجميع فيها على الجانب السيئ من أمريكيين وعرب، يظهر الأمير ناصر السباعي؛ الممثل السوداني الأصل **ألكساندر صدّيق**، حالةً شاذة، فهو

شاب مستنير تخرج في جامعة (أكسفورد) ويسعى إلى إصلاح شعبه بإحلال نظام برلماني وإشراك المرأة فيه، أي إن المخرج أعفى الأمير العربي الطيب من التحالف مع القادة الغربيين لكونهم هم أيضاً أشرار، ولكنه حصره أيضاً في خانة التعاطف مع الثقافة الغربية باعتناقه لأفكار **التنوير** الأوربية!

من جهة أخرى، لم يقف التحالف مع المخابرات الأمريكية عند حدود مسلسل **الخلية النائمة** سالف الذكر، فالرسالة ذاتها تكررت في فيلم (**خائن**/ Traitor) المنتج سنة **٢٠٠٨**، والذي يتولى فيه العميل المسلم الأسود (سمير هورن)؛ الممثل دون تشيدل، مهمة اختراق إحدى الخلايا الإرهابية وتفكيكها قبل تنفيذ جريمتها بتفجير خمسين حافلة ركاب في أمريكا في عيد الشكر، وكما هو الحال في المسلسل نجد العميل المسلم هنا أيضاً في غاية التقوى والورع، وفي الوقت الذي هلل فيه بعض الصحفيين العرب لهذه الصورة المنصفة للمسلم المعتدل والتي تنزه الإسلام عن التطرف غاب عنهم الكثير من الرسائل المباشرة وغير المباشرة، ومن أهمها أن يندمج خمسون أمريكياً مسلماً في أعمالهم ودراستهم وحياتهم العائلية، ودون أن يختلفوا عن أي أمريكي آخر سوى في انتظار ساعة الصفر التي ينطلقون فيها لتفجير الأبرياء من حولهم، وليست هناك وسيلة أكثر فاعلية في إثارة العنصرية ضد العرب والمسلمين في الغرب مثل هذه! ويبقى التذكير بأن الكثير من مشاهد الفيلم صُورت في المغرب، وشارك فيه عدد كبير من الممثلين العرب والمسلمين مثل **سعيد طغماوي، رعد راوي، حسام غانسي، حبيب حمدان، علاء صافي، علي مؤمن، داني جزار، مصطفى حنيني وعمر ممدوح.**

أما دور **العرب الأخيار** في احتلال العراق فيظهر في فيلم (**المنطقة الخضراء**/ Green Zone) المنتج في أوائل عام **٢٠١٠**، الذي تزامن عرضه

مع الذكرى السابعة لاحتلال العراق، إذ نعثر على هذا الدور في شخصية (فريد)، ويقوم بها الممثل المصري **خالد عبد الله**، الذي يساعد الضابط الأمريكي (روي ميلر) على الوصول إلى القيادي السابق في نظام صدام (محمد الراوي)؛ الممثل الإسرائيلي ذو الأصل العراقي ييغال ناعور، لتتأكد شكوك (ميلر) عبر (الراوي) في الكذبة التي روّجت لها إدارة بوش حول حيازة العراق لأسلحة الدمار الشامل مما برّر لها احتلال البلاد وعزل قيادتها وحل جيشها ونهب خيراتها.

ومع هذا النقد الجريء في الفيلم لدوافع الحرب، لم يجد مؤلف القصة غير شخصية عراقية عانت الاضطهاد في ظل حكم صدام للتعاون مع الضابط الأمريكي، ولم يكن دافع (فريد) فيما يبدو البحث عن الحقيقة؛ إذ يقرر قتل (محمد الراوي) بنفسه فيما بعد، ويخسر (ميلر) بذلك شاهداً مهماً على اعتماد إدارة بوش سياسة التضليل والزج بالشباب الأمريكيين في حرب غير مجدية، في الوقت الذي يتنعم فيه القادة الأمريكيون بحياة مترفة داخل حصونهم في المنطقة الخضراء وسط بغداد، ومن المؤسف أن يتكرر تقديم مثل هذه الأدوار من قبل ممثلين عرب.

من التعاون الفردي إلى الحكومي!

التحالف الأمني الرسمي مع الأمريكيين لمجابهة (الإرهاب) يُعد اليوم شرطاً أساسياً للعرب الراغبين في التصنيف ضمن فئة الأخيار، ويقدم لنا فيلم (**المملكة**/ The Kingdom)، المنتج سنة **٢٠٠٧**، الوصفة الكاملة لتحقيق هذا الشرط، وعلى يد ممثلين عرب مرة أخرى.

يجسد دور العقيد السعودي (فارس الغازي)؛ الممثل الفلسطيني الشاب (**أشرف برهوم**)، أحد الأشكال الممكنة حديثاً لكسب الرضا الأمريكي، إذ لا يكتفي المخرج بإظهار هذا الضابط الطيب على أنه معادٍ للإرهاب

والإرهابيين ومتحالف مع زملائه المحققين الأمريكيين القادمين إلى السعودية لمساعدته في التحقيق، بل يضحي الرجل بروحه ويُقتل في نهاية الفيلم، ثم يُسلم الروح على يد زميله الأمريكي المحقق (رونالد)؛ الممثل جيمي فوكس، أثناء مداهمتهما لمنزل رئيس (الخلية الإرهابية)، وهكذا يبلغ الانسجام بين المسلمين الأخيار والأمريكيين -الأخيار دائماً- ذروته عندما يتحد الجميع للتخلص من عدوهم الأوحد.

أما الصورة النمطية الجديدة التي يريد الفيلم استحداثها للعرب والمسلمين الأخيار فهي تفسح الطريق أمام المسلمين ليمارسوا شعائر دينهم دون اعتراض، على أن يبقى التدين ساذجاً وعلى طريقة (الدراويش) ودون أن يؤدي الإيمان إلى اعتناق أي قضية. مع ضرورة الانخراط فيما يسمى بالحداثة وعدم رفض أسلوب الحياة على الطريقة الغربية، والأهم من كل هذا هو التعاون مع الغرب للقضاء على **الإرهاب الإسلامي**. لذا يحرص المخرج على إظهار كل من العقيد غازي والنقيب هيثم في صورة الرجل المسلم متفتح الذهن، والذي يتجاوز العقبات الثقافية والصعوبات السياسية لإنشاء علاقة متينة مع زميله الأمريكي، في الوقت الذي يعاني فيه عقدة النقص أمام هذا الغربي ويشعر بعبء تقاليده الاجتماعية، كما يدخن السجائر ويحب الحياة ويعيش حياة عائلية مستقرة. أما على الصعيد الديني، فكلاهما يحرص على فرائضه الدينية، إذ تُعلم زوجة العقيد غازي ابنتها الصغيرة كيفية وضع الحجاب، ثم تصلي العائلة كلها معاً، أما النقيب هيثم فيحرص على الصلاة بملابس نظيفة، ويهتم برعاية أبيه المقعد ويعينه على صلاة الجماعة، وفي الصفحات القادمة تحليل كامل لهذا الفيلم.

في مثال آخر للتعاون الرسمي، يقدم لنا فيلم (**جسد من الأكاذيب**)؛ المنتَج عام ٢٠٠٨، نموذجاً أكثر تطوراً ويبلغ فيه نضج (العرب الأخيار) حده الأقصى، إذ لا يكتفي ضابط المخابرات الأردني (هاني سلام)

بالتعاون مع المخابرات الأمريكية والتنسيق معها للقبض على أحد قادة القاعدة (الشيخ السليم) المقيم في عمّان، بل نجد الضابط الأنيق والمثقف والذي يعيش على الطريقة الغربية في اللهو واحتساء الخمر أكثر دهاءً وخبثاً من الأمريكيين أنفسهم، فهو الذي يستطيع حل اللغز ونصب الكمين للشيخ (السليم)، في الوقت الذي تعجز فيه المخابرات الأمريكية (سي آي أيه) عن ملاحقة الخلية **الإرهابية** عبر الأقمار الصناعية. ومع إسناد هذا الدور إلى ممثل بريطاني، فإن قائمة ممثلي الفيلم تحمل أسماءً عربية أخرى، فضلاً عن تصوير معظم مشاهده على الأراضي المغربية، وهو ما سيأتي تفصيله لاحقاً في الكتاب.

شروط هوليود لاندماج (المسلمين الأخيار) في أمريكا!

إذا كانت الأفلام السالف ذكرها تحتفي بالمسلمين والعرب الأخيار المتعاونين مع أمريكا في حربها على **الإرهاب** من مواقعهم في بلادهم النائية، فقد اهتمت أفلام أخرى بقضية اندماج المسلمين الأمريكيين في مجتمعهم، وقدمت لهم فرص إنصافهم، ولكن وفقاً لشروط هوليود السابقة!

نذكر على رأس قائمة هذا الصنف الجديد الفيلم الكوميدي (**لا تعبث مع زوهان**/ You Don't Mess With The Zohan) والمنتج عام **٢٠٠٨**، فهو من أكثر هذه الأفلام حشداً **للعرب الأخيار**، ومن أكثرها إذلالاً لهم في الوقت نفسه، إذ يفاجئ الممثل الكوميدي (آدم ساندلر) مشاهديه بدور يكشف عن الوجه الآخر لما اعتاد على التصريح به من شخصيته الوديعة والمسالمة[١]، ويظهر في صورة عميل أسطوري للمخابرات الصهيونية لم

(١) هذا ما تم التركيز عليه في إحدى حلقات برنامج (Hollywood True Story) الشهير على قناة E tv.

يكن يتقن شيئاً في الحياة سوى قتل **الإرهابيين** الفلسطينيين منذ طفولته (!) ولكن فطرة حب السلام تنهض فجأة في نفس هذا الشاب الذي تربى في بيت محارب متقاعد ليخبر والديه بأنه لم يعد يريد القتل، ثم يهاجر إلى نيويورك ويتقمص شخصية جديدة تتلاءم مع هوايته اللطيفة وهي قص الشعر والتزيين.

يحاول الفيلم، الذي شارك ساندلر في كتابة نصه وإنتاجه، أن يقدم لنا مفهومه الخاص للسلام بين الفلسطينيين والصهاينة، ففي الحي الذي يعمل فيه (زوهان) لدى صاحبة صالون الحلاقة الفلسطينية (دالية) يتقاسم العرب واليهود طرفي الشارع، وتدور بينهم المعارك باستمرار، ولكن الغلبة دائماً تكون بالطبع لمصلحة اليهود، وفي كل مشادة ينتهي الحال بالعربي إلى الخرس لأن اليهودي يفحمه، ومن ذلك أن تسعة وتسعين بالمئة من الناس يريدون من العرب الرحيل، وأن اليهود لا يعانون التمييز إلا لأنهم يشبهون العرب في ملامحهم الشرق أوسطية، بل إن الصراع أصلاً يدور بين فريقين: الأول اسمه اليهود، وليس الصهاينة ولا المحتلين ولا الغاصبين. والثاني يسمى الإرهابيين، وليس الفلسطينيين ولا العرب ولا أي شعب آخر.

يظهر العرب في ثلاث شخصيات مهمة في الفيلم: (دالية) الفتاة الفلسطينية الجميلة والمتحررة من دينها وعقلها، **الشبح** الإرهابي الخطير الذي يمتلك عشرين زوجة ومئتي فرع لمطعمه المخصص للوجبات السريعة، والذي نكتشف في النهاية أنه الأخ الأحمق للجميلة نادية والتي تنصحه في نهاية الفيلم بترك طريق الإرهاب والسير في طريق زوهان الذي سيتزوج بها، وأخيرًا سائق سيارة الأجرة الفلسطيني المغفل الذي ما زال يحقد على الجندي الإسرائيلي زوهان لسبب وحيد وهو أن الأخير كان قد سلبه عنزته، وليس أرضه ولا تاريخه ولا هويته. علماً بأن مصادرة هذه

العنزة لم تكن أيضاً بغير مبرر فالصهاينة لا يسرقون!.. والطريف في الأمر أن هذه الأدوار الثلاثة تم إسنادها إلى ممثلين أمريكيين، أما الشخصيات العربية الثانوية والمغرقة في الحماقة والبشاعة فقد تبرع بها المنتجون للممثلين العرب، وعلى رأسهم **موسى قريش** والمصريان **سيد بدرية وأحمد أحمد** والفلسطينية **ميسون زايد**. ولعل أهم ما يميز **العرب الأخيار** في هذا الفيلم أنهم لا يوافقون على مبادرة اليهود للسلام إلا بعد اكتشافهم حقيقة أن المضي في طريق العنف لن يزيدهم إلا إخفاقاً، فهم المعتدون على أرض اليهود، وهم الماضون في طريق الإرهاب حتى نهايته، وهم قبل ذلك وبعده ليسوا سوى حمقى وشهوانيين مثيرين للسخرية!

الفيلم مليء بالتحقير والإهانة والصور النمطية واستغفال المُشاهد، فحتى العهر يصبح مبرَّراً عندما يمارسه زوهان في حق جميع نساء الفيلم، ولكن استئثار (الشبح) بعشرين زوجة فقط (!) هو أمر يثير الاشمئزاز، فالزنا مقبول والتعدد جريمة!.. أما الألفاظ البذيئة والإيحاءات الجنسية التي تملأ الفيلم فقد حققت سبقاً بوصول عدواها إلى العرب للمرة الأولى، فهو أول فيلم يحظى بشرف نقل الكلمات السوقية بالعامية العربية إلى هوليود!

السينما الهندية شاركت أيضاً في إقرار شروط الاندماج لهؤلاء **المسلمين الأخيار** في أمريكا، ونظراً لإتقانها هذه الشروط فقد نجحت أحيانًا في اختراق هوليود. ففي مطلع **٢٠١٠** قامت شركة (فوكس) بتوزيع الفيلم الهندي (**اسمي خان**/ My Name Is Khan) في أكثر من **١٥٠** دولة، وأكسبته صفة العالمية، وهو من إخراج (**كاران جوهر**) وبطولة نجم بوليود المسلم (**شاروخان**)، ويؤدي المسلمون الهنود الكثير من أدواره.

يحكي الفيلم قصة الهندي المسلم (رضوان خان) المصاب بمرض التوحد، والذي يهاجر إلى الولايات المتحدة ويتزوج من فتاة هندية

هندوسية (ماندیرا)، حيث تنقلب حياته رأساً على عقب إثر هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، فتعاني عائلته الاضطهاد بسبب اسم (خان) الذي تحمله. وينقل الفيلم الكثير من مشاهد معاناة المسلمين في أمريكا، ومنها تعرض المسلمين لمحاولات القتل في الشوارع فضلاً عن الشتائم والتحقير، وحشو عقول الطلاب في المدارس بالكراهية تجاه الإسلام الذي **يدعو إلى الجهاد ضد جميع المخالفين**، واضطرار زوجة أخي رضوان (حسينة) لخلع حجابها بعد أن ينزعه عن رأسها أحد المتعصبين في الجامعة التي تحاضر فيها، وإفلاس صالون الحلاقة الذي تديره (ماندیرا)، ويصل التصعيد إلى أقصاه مع مقتل الطفل سمير؛ ابن ماندیرا من زوجها السابق، على يد زملائه المتعصبين، فتحمّل أمه المسؤولية على خان وتطالبه بإقناع الشعب الأمريكي كله بأن اسمه لا يستلزم كونه إرهابياً، وتشترط عليه عدم العودة إلى المنزل قبل إيصال هذه الرسالة إلى الرئيس نفسه، فينطلق الشاب المصاب بالتوحد في رحلة طويلة عبر البلاد بحثاً عن الرئيس بوش، يتعرض خلالها للاعتقال والقهر وغيرها من الأحداث، إلى أن يحقق غايته ويخبر الرئيس (باراك أوباما)، في بداية ولايته، بأن اسمه خان وأنه ليس إرهابياً.

الفيلم لا يخلو من بعض السطحية التي اعتادت عليها بوليود، حيث يكون للمصادفة دور البطولة في الربط بين الأحداث، ويتعرض البطلان لأشكال شتى من العوائق على طريق الحب وصولاً إلى النهاية السعيدة والمعروفة مسبقاً، ولكن ذلك لا يقلل من قيمة الفيلم الفنية ومن قدرته على نقل الواقع المؤلم للعنصرية التي يعانيها المسلمون الأمريكيون، ولا بد من الاعتراف بجهود صنّاع الفيلم في إظهار الجانب المشرق للمسلم المعتز بدينه، إذ يصرّ خان على التبرع بخمس مئة دولار لمجاعات إفريقيا، مع إصرار الجهة التي تجمع المال على تلقيه من المسيحيين

فقط، كما يحرص خان على الصلاة في أي مكان حضرَته فيه دون اكتراث لنظرات أحد، أما حسينة فتعود إلى قاعة التدريس بحجابها لتصارح طلابها بأنها شعرت بالنفاق عندما خلعته مع إعلان يندُر سماعه في هوليود: (حجابي هو وجودي).

وقبل أن نُغرق في التفاؤل بهذه الصورة المشرقة وغير المألوفة لا بد من وضع الأمور في إطارها الصحيح، حيث لا تكتمل صورة **المسلمين الأخيار** إلا وفقاً لشروط هوليود، فالمسلم الأمريكي الطيب هو الذي يصنف الناس حسب أخلاقهم ولا يكترث لدينهم، والذي لا يبالي بمقاطعة عائلته عند محاولتهم إقناعه بأن الزواج من هندوسية حرام، مع أنه باطل شرعاً، لأن الحب أولى لديه من حكم الشرع فيمارس كل منهما دينه دون تعارض، وهو أيضاً الذي ينجح في التطبيع مع جيرانه حتى عندما يشارك أحدهم في حرب أفغانستان، كما يتعاطف مع ضحايا حرب العراق، ويفدي الشعب الأمريكي بحياته عندما يتعرض للكوارث، ويقدم زكاة ماله لجامعي التبرعات من أجل ضحايا فرق الإطفاء في هجمات أيلول/ سبتمبر، مع أنها لا تُشتمل بمصارف الزكاة الشرعية، ويقوم بالتبليغ عن المتطرفين والمساعدة في القبض عليهم، ولأن التبرؤ باللسان لا يكفي فالأفضل أن يُرجم دعاة الإرهاب بالحصى كما رجم إبراهيم عليه الصلاة والسلام الشيطان!

والأهم من ذلك؛ يجب على المسلم الأمريكي الطيب ألا يخطر بباله أي تساؤل حول دوافع الإرهاب، فالتاريخ كان ينقسم إلى ما قبل الميلاد وبعده، وإذا كنا نعيش الآن مرحلة جديدة اسمها ما بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر فيجب أن يدرك **المسلم المعتدل** أنها نقطة يبتدئ عندها تاريخ جديد لا علاقة له بما قبل، أما الداعية المتطرف الذي يحرّض الشباب على الإرهاب علانية في أحد مساجد لوس أنجلوس فهو وحده

الذي يتحدث عن دوافع الإرهاب من قتل الفلسطينيين وغيرهم، وهو منطق متهافت ينبغي للمسلم الأمريكي الطيب أن يواجهه بالرجم بالحجارة وأن يكف عن التفكير في أن للمسلمين حقاً مهضوماً يحرض بعضهم على العنف!

obeikandl.com